أحبك حب الحياة !

١ — على صفحة الجدول الرائق ... وفي كنف الشجر الباسق
وحيثُ الأزاهير تسبي النهى ... وتفشى في صمتها الناطق
وحيثُ الخمائلُ صدّاحةٌ ... بكلّ بريء الهوى صادق
وحيثُ الجمال يتيه العقولَ ... فتسبح في حُلُم شائق
هناك على بعض تلك الرُّبى ... ترى العينُ كوخَ فتىً عاشق

٢ — فتىً في الغرام ولكنّما ... ترى الشيبَ يلمع في عارضيهْ
كثيرُ التجاعيد مُحدودبٌ ... وأعرجُ يمشي بعُكّازتيه
أطلّ من الكوخ في ليلةٍ ... يُقلّبُ في طفلةٍ ناظريهْ
وكان الخلالُ يُنيرُ الطريقَ ... ويبعثُ الدّجى من ذراعيهْ
فأمّلَ في شرفه أن يَرى ... خيالاً من الأفق يسعى إليهْ

٣ — خيالَ خليلته المصطفاةِ ... خيال حبيبته الغائبهْ
خيالَ التي وهبتْ فنّهُ ... جمالَ ذُنوّته الذهبيّه
مضت للمدينة مدنوعةً ... بشهوة أحلامها الخائبه
وما للمدينة غيرَ الطلاء ... وغيرُ مفاتنها الكاذبه
مفاتنُ تسبي قلوبَ الأنام ... ولا سيما طفلةً لاعبه

٤ — ومرّ النسيمُ به بارداً ... فأرعشَ أوصالهُ فاضطرب
فأغلقَ كوّتهُ بالياً ... وأمسكَ فيثارهُ المنتحب
ومسدفَ ناظرهُ ثيمةً ... تجودُ بأنفاسها في اللّهب
فمرّ بخاطره خاطرٌ ... وقد صوّرت حالَ قلبٍ أحب
فداعبَ فيثارهُ باليدين ... وأنطقهُ كلّ لحنٍ عجب

٥ — تُبشّرهُ أنهُ شائخٌ ... وطاحِنُ ساقاهُ عُكّازتاه
وتفشلُ فلسفةٌ من فنّه ... وتسخرُ في فنّه من هواه
وما الفنُّ ؟ إن لم يكن وحيها ... ولمحَ الجنون وهمسَ الشفاه
ومن وحيها نَغَمٌ خالدٌ ... دماه دماءُ حبيبٍ أخيه
تهيمُ الليالي بترجيعه ... ويخفقُ في كلّ قلبٍ صداه

٦ — وكانا وكانت حياتاها أحاديثَ أهلِ القرى الشائعه
وأنغامُ حبهما أصبحت على كل قيثارةٍ عاشقه
طواها كتولوثة حرةٍ يخافُ عليها اليدَ السارقه
ولكنها أنكرتْ سجنها وثارتْ بأغلالها حانقه
فلما أتاها نداءُ الحياة أجابتْ طبيعتها المارقه !

٧ — وها ذاك فصلُ الشتاء الطويل وها نحنُ في ليلةٍ عاصفه
وها قرُ الليل فوق الدروب تلثَّمَ بالديم الزاحفه
أتسمع لحنًا ؟.. أجل.. إنه من الكوخ.. أنغامه راجفه
ألمت به وحدةُ العاشقين وبا طالما سامرتْ عازفه
فتىً باتَ يبكي بأنغامه وفي فمه بسمةٌ زائفه

٨ — مضى الليل فانكبَّ فوق الخوان وما زال يحضنُ قيثاره
بجانبه شمعةٌ ألهمت لحون الصبابة أوتاره
وفي جفنه حُلمٌ راحم يرنُّ بالوصل أفكاره
وثمَّ على الدرب همسٌ لطيف كما داعب الطلُّ أزهاره
وثمَّ خيالٌ.. بل قد دنا يُقلِّبُ في الكوخ أنظاره

٩ — أجل هي زوجته أقبلت وقد كاد يغرب نجم السحر
تحاذرُ تلبيهُ من كرى وتدنو وفي ناظريها الخطر
وها هي تحمل مكارتيه وتلقيهما خارجًا في حذر
وترمي بشمعته في الآبار فيضري اللهيب ويسري الشرر
وتخرجُ موسدةً بابها وتسرعُ للموعد المنتظر

١٠ — على الجسر ها هي ذي مع فتىً فتىً.. كأن أوقصها في هواه
تدور يداه بأعطافها ويدنو فيلثم ثغرًا شهاه
وهاهو ذا الكوخ وسط اللهيب يثبُّ من النار تفري حشاه
أتسمع لحنًا ؟.. أجل.. إنه من الكوخ والأفق يطوي الثناء
تصارعه النارُ لكنه يُنادي أحبُّكِ حبَّ الحياة!

(القاهرة) بولس جبرا